لم يجد قادة الاتحاد السوفييتى ما يأخذونه على الرئيس تيتو ، فى محاولة التشهير به ، سوى ان يطلقوا عليه اسم : امبراطور الشيوعية !

حقيقة ان تيتو كان يفضل ان يقيم فى القصور الحكومية ولكن ما كان تيتو يفعله علنا ، هو نفسه الذى يفعله زعماء الكرملين ، سرا !

ان هؤلاء الزعماء فى الاتحاد السوفييتى ، يعيشون كما يعيش اصحاب الملايين فى العالم الراسمالى ! فلديهم القصور الفاخرة ، وتحت تصرفهم الشاليهات الأنيقة التى تطل على اجمل البحيرات !

ان الفارق الوحيد بينهم وبين تيتو ، ان الرجل لم يكن يعيش بوجهين ، وحياتين ! اما هم فنجدهم امام العدسات والميكروفونات : يعيشون عيشة افراد الطبقة العاملة ، وعندما يختفون وراء الأسوار وبعيدا عن الانظار ، فهم اباطرة روسيا الشيوعية !

عرفت هؤلاء

بقلم :
انور السادات

عند ما أطلق السوفييت على تيتو لقب :

٢ إمبراطور الشيوعية !

كان الرئيس اليوغسلافى ، تيتو ، يؤمن بالماركسية . وكان الحزب الشيوعى اليوغسلافى يحكم البلاد ، وعلى الرغم من ذلك اراد تيتو ان يحتفظ لبلاده باستقلالها بعيدا عن هيمنة الاتحاد السوفييتى ، الذى جعل من نفسه الأب الروحى لجميع الدول التى اخذت بالماركسية ، طوعا .. وكرها ، فى نفس الوقت !

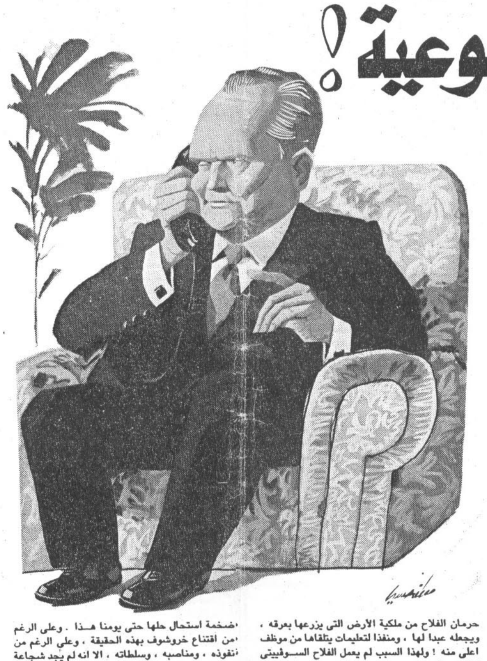

واصرار تيتو على استقلال بلاده ، جعله هدفا لانتقادات قادة موسكو ، فعملوا على اسقاطه ، وعلى التخلص منه ، بكافة السبل ، بما فيها محاولة التخلص منه جسديا ، عن طريق التآمر على حياته ، ووضع السم فى طعامه !

ولم يخف تيتو ..

ولم يمنعه الارهاب السوفييتى من ان يقول رأيه فى اخطاء الاتحاد السوفييتى ، علنا ، وبلا تردد . وكان يحلو لتيتو ان يتندر على الشعارات الجوفاء التى كان يطلقها قادة الكرملين ، فى محاولاتهم لخداع شعوبهم ، وشعوب الدول الأخرى .

وكثيرا ما كان تيتو يقول لنا ـ سواء فى القاهرة ، او فى بلجراد ـ ان الشعارات يمكنها ان تخدع الشعوب بعض الوقت ، ولكن من المستحيل ان تخدعها كل الوقت . وكان اكثر ما يغيظ الرئيس اليوغسلافى ان قادة موسكو يتركون مشاكل الشعوب جانبا ، ويكتفون بترديد اهمية الاشتراكية ، ونجاحها ، وحتميتها ، وانتصاراتها .

وكان لتيتو فى هذا الشأن تعبير طريف يقول ، بانجليزيته المحببة :

socialism socialism,and no food!

اى : « اشتراكية .. اشتراكية .. ولا طعام ! » .

وهذا النقد الذى كان يوجهه تيتو ، لأخطاء تطبيق الاشتراكية ، يؤكد مدى صلابة هذا الزعيم ، ومدى اعتداده بنفسه ، وثقته فى قدراته ، وايمانه بشعبه .

وليس هذا بالكثير على الرئيس تيتو ..

فالرجل من طراز الزعماء العالميين ، وليس فقط من زعماء الاشتراكية الشيوعيين . ففى الحرب العالمية الثانية ظهر تيتو جنبا الى جنب مع ابطالها وكبار قادتها مثل تشرشل ، وايزنهاور ، وديجول .. وغيرهم .. على الرغم من ان يوغسلافيا لا تقارن امكانياتها وقدراتها ، بامكانيات وقدرات الدول الكبيرة مثل بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا .

فيوغسلافيا بلد صغير ، قليل السكان ، ثروته ضئيلة . ولا ينتج السلاح ، ولا يمتلك القوات الضخمة ، ورغم هذا كله فان الشعب اليوغسلافى استطاع بقيادة تيتو ان يرهب المانيا الهتلرية ، ويصبح احد اسباب هزيمة هتلر فى حربه التى اعلنها ضد العالم كله !

وهذه ـ كما قلت ـ صفات الزعامة العالمية . صفات القائد الذى يستطيع ان يجمع حوله جميع طوائف الشعب ، ويجعل منهم قبضة واحدة ،

وما فعله تيتو فى الحرب ، فعله ايضا فى السلم ..

فقد رفض الاحتلال الألمانى ، ثم رفض الهيمنة السوفيتية . تحدى ستالين حتى آخر لحظة فى حياة الزعيم السوفييتى . وكما وقف الشعب اليوغسلافى وراء تيتو اثناء معارك الحرب ، وقف ايضا خلفه فى تحديه للسيطرة السوفييتية ، وللاطماع الستالينية .

ويمكن تقدير عظمة هذا الموقف ، عندما نتذكر كيف خرج ستالين من الحرب العالمية . خرج منتصرا ، شامخا ، واستطاع ان يلتهم ما يقرب من نصف قارة اوروبا ، وفرض على شعوبها الماركسية ، قهرا ، وعنفا ، ففوجىء بزعيم احدى تلك الدول الماركسية ، يرفض سيطرته ، ويتحدى ارادته ، ويصمم على ان يكون لشعبه رأيه فى سياسة بلاده !

ولم يستطع ستالين ـ بكل جبروته ، وطغيانه ـ ان يفعل شيئا لتيتو . لم يستطع ان يغتاله ، ويتخلص من وجوده . ولم يتمكن ستالين ـ ومن جاء بعده ـ ان يفعل فى يوغسلافيا ما فعله فى باقى دول اوروبا التى سقطت فى شباك الهيمنة السوفييتية .

وكما يتصرف صاحب المال ومالك الارض فى ممتلكاته ، استمر الاتحاد السوفييتى عبر تنظيمات ، كالكوميكون والقوات السوفيتية لتاكيد الوجود السوفيتى يدير دول اوروبا الشرقية وفقا لسياسة معينة ، بحيث يضمن التوازن فى تلك الدول ، وعلى امل ان تظل كل دولة تعتمد على الاتحاد السوفييتى فى كل كبيرة وصغيرة ومستخدما ايضا البترول ، وتزويد هذه الدول به كسلاح من اسلحة الهيمنة ، يضاف كما قلت ، إلى الكوميكون والوجود السوفيتى .

فمثلا نجد الاتحاد السوفييتى يوزع الادوار على جميع دول اوروبا الشرقية . فهو الذى يحدد لكل دولة ما تزرعه ، وما تصنعه . ما تبيعه ، وما تشتريه . ما تصدره ، وما تستورده ! وهو الذى يحدد مناطق المواد الخام ، وكيفية استخراجها ، واسلوب توزيعها على الدول الدائرة فى فلكه ، تبعا لخطة متكاملة تحدد الانتاج فى كل دولة من خلال الجهاز المسمى بالكوميكون .

ولم يقبل تيتو هذا الاسلوب ..

لم يقبل ان يكون دوره مقصورا على تنفيذ تعليمات موسكو ، ولا يملك تعديلها ، او رفضها ! فمن غير المعقول الا يستطيع ان ينشىء المصانع فى بلاده ، ويحدد انتاجها ، ما لم يحصل على موافقة السوفييت اولا ! وكان راى تيتو ـ الذى قاله لقادة موسكو مرارا وتكرارا ـ ان كل بلد يعرف احتياجاته اكثر من غيره . وعلى ذلك يجب ان يترك لكل حكومة وضع السياسة الاقتصادية التى تناسبها ، وتتفق مع مواردها ، واسلوبها فى تحقيق متطلبات شعبها .

وقال تيتو للسوفييت ان اهم مشكلة تواجه يوغسلافيا ـ كما تواجه باقى دول اوروبا الشرقية ـ هى مشكلة الطعام . مشكلة زيادة الانتاج الزراعى ، حتى يمكنه تلبية احتياجات كل مواطن . وطالب تيتو بان تعطى الأولوية المطلقة لحل هذه المشكلة . فمن غير المعقول ان تهمل الزراعة ، وتعطى الأهمية القصوى لانتاج الحديد والصلب .. مثلا ومن هنا جاء استعماله لكلمة الاشتراكية .. الاشتراكية ولاطعام .. !

ولم يجد تيتو اذنا واحدة فى موسكو تصغى اليه .. الانتقادات لاسلوبه فى حكم البلاد ، وتعمده الانفراد ، والانعزالية ، والتهرب من تنفيذ ما هو مطلوب منه !

وقرر تيتو ان يتصرف من تلقاء نفسه ، بعد ان عجز تماما عن اقناع السوفييت بوجهة نظره . وكان تيتو يعلم تماما ان باقى رؤساء دول اوروبا الشرقية يفكرون كما يفكر ، ويتمنون لبلادهم ما يتمناه ليوغسلافيا ، ولكنهم ـ للاسف ـ لا يملكون جراته فى مواجهة طغيان الاتحاد السوفييتى !

وبالفعل وضع تيتو السياسة الاقتصادية الخاصة بيوغسلافيا ، بغض النظر عما اذا كانت تتعارض مع الاطار الذى حدده الاتحاد السوفييتى لدول اوروبا الشرقية . ليس هذا فقط ، بل وقرر ان يتحدى النظرية السوفييتية ، ذاتها ، والخاصة بالزراعة . فقد اقتنع تيتو ان الفلاح لا يؤمم . وان اكبر اخطاء الاتحاد السوفييتى المسئولة عن فشل الزراعة ، هو حرمان الفلاح من ملكية الأرض التى يزرعها بعرقه ، ويجعله عبدا لها ، ومنفذا لتعليمات يتلقاها من موظف اعلى منه ! ولهذا السبب لم يعمل الفلاح السوفييتى كما يجب ان يعمل ، فجاء انتاج الأرض هزيلا ، لا يكفى .

وما حدث بالنسبة لتدهور الزراعة فى الاتحاد السوفييتى ، حدث مثله تماما فى باقى الدول الشيوعية . وحدث بالتالى فى يوغسلافيا . وفوجىء تيتو بأن انتاج الأرض لا يكفى لاطعام الشعب اليوغسلافى . ليس هذا فقط بل واضطر الى استيراد المواد الغذائية ، والضرورية ، من الخارج والا تعرضت البلاد لمجاعة مخيفة !

حدث هذا على الرغم من جودة التربة فى الأرض اليوغسلافية . فالشعب اليوغسلافى ظل طول تاريخه يعيش على ما تنتجه تلك الأرض . فالفلاح الذى يحرص على زيادة انتاجها سنة بعد اخرى ، ليزيد دخله منها . اما بعد تأميم الأرض ، وتأميم الفلاح ، فان الحافز على زيادة الانتاج تلاشى ، ولم يعد الفلاح المؤمم يقدم الا اقل القليل من الجهد ، والعرق ، والعمل !

وساءت الزراعة ، وتدهور الانتاج ..

وهنا قرر تيتو الا يقف يتفرج على الكارثة ، كما يفعل قادة الدول الشيوعية . لم يخف من قادة موسكو ، ولم يهتم بالحصول على موافقتهم . فالقضية قضيته هو ، والمشكلة مشكلة اطعام شعبه ، وليس اطعام شعب الاتحاد السوفييتى !

وتجاهل تيتو مبادىء الهيمنة السوفييتية تماما ، واصدر قانونا يسمح للفلاح بملكية الأرض فى حدود ٢٥ فدانا .

واحدث هذا القرار الشجاع فعل السحر فى يوغسلافيا ..

استرد الفلاح اليوغسلافى حريته ، وملكيته ، وعاد كما كان من قبل صاحب الأرض ، وخادمها ، والمستفيد الأول من خيرها . وازداد الانتاج ، وادخل تيتو احدث النظم الزراعية الحديثة ، مما جعل من يوغسلافيا واحدة من اشهر دول اوروبا انتاجا للطعام . ليس فقط اطعام الشعب اليوغسلافى ، وانما ايضا اطعام شعوب العديد من دول اوروبا الغربية !

ولم يهتم تيتو بالثورة الغاضبة التى اشعلها قراره لدى قادة موسكو . ولم يسمح لهم بالتدخل فى شئون يعتبرها من ادق خصوصيات الشعب اليوغسلافى وحده ..

ووقف الاتحاد السوفييتى ـ بكل قوته ، وتسلطه ، وجبروته ـ عاجزا امام زعيم دولة صغيرة ، كل « جريمته » انه اراد ان يوفر لشعبه الطعام ، ولبلاده الرخاء !

وعندما يئس قادة الكرملين من فرض سيطرتهم على تيتو ، كما فشلت جميع محاولاتهم فى التخلص منه عن طريق اغتياله بالعملاء ، مرة ، وبوضع السم فى طعامه مرة أخرى ، اضطروا ـ فى النهاية ـ الى قبول الأمر الواقع الذى فرضه تيتو عليهم ! وتمت المصالحة بين الاتحاد السوفييتى ويوغسلافيا .

وعادت العلاقات شبه الطبيعية بين البلدين ، مرة اخرى . ووضح للجميع ان تيتو هو الذى خرج منتصرا فى تلك الحرب الخفية ، والعلنية ، التى شنها ضد قادة موسكو لسنوات طويلة ، ومريرة .

واثبت انتصار تيتو ـ للعالم بصفة عامة ، ولشعوب اوروبا الشيوعية بصفة خاصة ـ ان نظرية الزراعة الشيوعية هى سبب المجاعة المقنعة التى تعانى منها دول كثيرة فرضت عليها النظم من خارجها فرضا ، وقهرا . وليس ادل على ذلك من النقص الرهيب فى الانتاج الزراعى الذى يشكو منه الشعب فى الاتحاد السوفييتى ، الذى يعتبر ثانى اعظم دولة فى العالم !

والأمر هنا يحتاج الى وقفة سريعة ..

فتيتو ـ كما قلت ـ استطاع ان يثبت زعامته ، وجراته ، وتمسكه بمصالح شعبه دون الالتفات الى ما يمكن ان يلحق به من متاعب وخلافات مع الاتحاد السوفييتى . وهذه الشجاعة ، صفة من صفات الزعامة العالمية الحقيقية . فالرجل لم يتورع عن رفض نظرية من اهم النظريات الماركسية والخاصة بالزراعة وملكية الأرض .

وتعالوا بنا لنرى ماذا كان يفعل غيره ..

فالزعيم السوفييتى خروشوف ، كان له هو الآخر الكثير من التحفظات على بعض النظريات الماركسية . ولكنه لم يستطع ان يكون شجاعا ، مثل تيتو . وفضل ان يقول سرا ، ما كان يقوله غيره علنا !

ومازلت اتذكر ما قاله لنا خروشوف هنا فى القاهرة ، فى احدى زياراته لمصر . يومها جلسنا ـ خروشوف ، وعبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، وانا ـ وفوجئنا بخروشوف يقول لنا :

ـ اسمعوا يا جماعة .. فقط ارجو عدم ترديد ما ساقوله لكم الآن ، حتى لا يصل الى اسماع الحزب الشيوعى فى موسكو ، فيصدر المكتب السياسى قرارا عاجلا بطردى من جميع مناصبى !

وضحكنا .. وضحك معنا خروشوف قبل ان يواصل حديثه قائلا :

لو عادت عجلة الزمن الى الوراء ، وكان الأمر بيدى ، لما امما المنازل ، ولا الحرف والحرفيين !

لقد ثبت لخروشوف ان تأميم المنازل السكنية ، واصحاب الحرف ، اثبت فشلا ذريعا ، وشكل مشكلة ضخمة استحال حلها حتى يومنا هذا . وعلى الرغم من اقتناع خروشوف بهذه الحقيقة ، وعلى الرغم من نفوذه ، ومناصبه ، وسلطاته ، الا انه لم يجد شجاعة تيتو ، ليعلن هذا الرأى ، ويقدم البديل عنه !

وهذا هو الفرق بين زعيم ، وزعيم .. !

ولم يكن خروشوف وحده الذى افتقر الى شجاعة تيتو . فزعماء بلد اوروبى شيوعى اخر ـ تشيكوسلوفاكيا ـ كانوا مثل خروشوف ، ولم يصلوا ابدا الى شجاعة تيتو . ففى خلال زيارة قمت بها الى براغ ـ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ـ جلست مع صديق لى يتولى منصبا كبيرا فى قيادة الحزب الشيوعى التشيكى . وعندما اطمأن الرجل الى عدم وجود احد معنا ، وجدته يصارحنى بأن تأميم المنازل ، والحرف ، والأرض الزراعية ، هو مشكلة من أعقد الدول الشيوعية الأخرى !

كان هذا هو رأى مسئول شيوعى كبير فى براغ . وعلى الرغم من ذلك فانه لم يجد الشجاعة ليعلن رأيه ، ويحاول ان يصحح ما يراه خاطئا !

وكما قلت .. فان الزعامة العالمية الحقيقية تتطلب مواصفات خاصة لا تتوافر الا لدى الاقوياء والشجعان .

وكان من الطبيعى ان يكره ستالين تيتو كراهية عمياء . فالرجل اثبت شجاعة نادرة فى مواجهة الارهاب . وهذا وحده يكفى لاثارته ضده ، ومحاولة النيل منه باية وسيلة ، حتى ولو استخدم الشائعات الرخيصة ضده .

وانكر على سبيل المثال اننا ـ عبد الناصر وانا وباقى اعضاء الوفد المصرى ـ كنا فى نهاية زيارة رسمية قمنا بها للاتحاد السوفييتى فى سنة ١٩٦٥ . وكان من المتفق عليه ان نتوقف فى بلجراد لمدة يومين لمقابلة الرئيس تيتو ، قبل ان نعود الى القاهرة . وفى مطار موسكو ، وقبل لحظات من ركوبنا الطائرة التى ستغادر بنا الاتحاد السوفييتى ، وقف موظف سوفيتى كبير ، عضو فى اللجنة المركزية وكان يعمل مراسلا لصحيفة برافدا فى القاهرة وتربطه صداقة قوية بالشيوعيين المصريين ، وقف هذا الرجل يتحدث معنا ، فسمعته يقول لعبد الناصر بلهجة ساخرة ، امتلات بالحقد والكراهية :

ـ اه .. انتم فى طريقكم الآن لزيارة امبراطور الشيوعية تيتو !

ولم يكن هذا الوصف من اختراع الرجل . وانما هو الصفة التى يحلو للقادة السوفييت ان يطلقوها على تيتو ، فى كل مرة يجدون فيها مناسبة للنيل منه ، والتشكيك فى اخلاصه لمكاسب الشعوب الشيوعية !

كل ما وجده القادة السوفييت من تحفظات على تيتو ، انه يحب ان يعيش عيشة تختلف عن عيشة باقى زعماء الدول الشيوعية . فتيتو كان يحب الاقامة فى القصور التى بناها الامراء والملوك السابقون ، وجاءت الشيوعية اليوغسلافية فأممتها لصالح الشعب .

وخطأ تيتو انه يفعل علنا . ما يفعله غيره سرا !

فليس هو وحده الذى يحب ان يقيم فى المساكن الفاخرة . فقادة الاتحاد السوفييتى ـ قمة الشيوعية وصاحب النظرية الماركسية وحامى مكاسب الشعوب الاشتراكية ـ يعيشون عيشة اصحاب الملايين الامريكيين! الفارق الوحيد بينهم وبين تيتو ، ان تيتو لا يخفى تنقلاته ولا يحظر نشر صوره فى القصور الحكومية التى يتنقل بينها . اما قادة السوفييت فأنهم يقيمون فى قصور القياصرة فى القرم ، وتخصص لهم الشاليهات الانيقة على ضفاف البحيرات الساحرة ، ولا يسمح بنشر صورة او كلمة واحدة عن تلك الحياة الرأسمالية التى يستمتعون بها على حساب الشعب .

ولذلك كان من الظلم ان يطلق هؤلاء لقب امبراطور الشيوعية على تيتو ، الذى لم يصرف موارد الدولة على ملذاته ، ولم يهمل فى واجباته ، ولم تتزعزع ثقته فى قدرات شعبه .

لقد عرفت تيتو عن قرب ، واستطيع ان اقول ان الرجل كان يتميز بصفات نادرة ، وبسمو خلق يدفعك الى احترامه والاعجاب به والتاثر بافكاره ومواقفه . وما اكثر مواقف هذا الرجل معى ، بعد ان توليت حكم مصر بعد رحيل عبد الناصر . وكنت احرص كل الحرص على ان اطلعه على موقفنا السياسى والعسكرى كلما جد جديد او رايت فائدة من وراء اطلاعه عليه . ونفس الشىء كان تيتو يفعله معى .

الى ان اقترب موعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ..

وكان لتيتو ـ فى هذا الوقت ـ موقف خالد حقيقة ، ويعطى أكبر دلالة على نوعية هذا الطراز من الزعماء العالميين .

وكما هو معروف ، فأننى اردت ان اهيىء الساحات كلها لقرب الحرب التى كنا نستعد لها . ونعتبرها معركة حياة او موت . بدأت بالساحة العربية ، بهدف خلق الموقف العربى الموحد . ثم مهدت للموقف الافريقى المؤيد لنا . وبعد ذلك سعيت الى الموقف العالمى . وجاءت الفرصة عندما اغتيل الزعماء الفلسطينيون الثلاثة فى بيروت . وفوجئت بأن الرئيس اللبنانى ـ فرنجية ـ لم يكن راغبا ولا حتى متحمسا لطلب دعوة مجلس الامن للانعقاد لمناقشة هذا العمل الاجرامى الخطير . فقررت ان ابادر بالتحرك من جانبى ، وارسلت تعليماتى الى الدكتور محمد حسن الزيات ـ ليتقدم باسم مصر طالبا عقد مجلس الامن . وعقد المجلس وناقش القضية ، ثم انتقلت المناقشة ـ بمبادرة منا ـ لبحث القضية الاصلية وهى الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية . وصدر عن مجلس الامن قرار لصالحنا وضد اسرائيل !

ولم يكن باقيا من ساحات امامى والمطلوب مساندتها ـ غير ساحة دول عدم الانحياز . ولحسن الحظ ان مؤتمر عدم الانحياز كان مقدرا له ان يجتمع فى الجزائر فى شهر سبتمبر ١٩٧٣ ، اى قبل المعركة ببضعة اسابيع قليلة ، والتقيت مع تيتو فى مدينة الجزائر . وصارحته بأن المعركة ضد اسرائيل اوشكت . بل وتحدد موعدها بالفعل ! وكان رد تيتو هو نفس الرد الذى سمعته من المرحوم الملك فيصل .

فقد تمنى لنا التوفيق ، ولم يسألنى عن ساعة الصفر . ولم يتطفل بأسئلة فضولية كما كان يفعل غيرهما لو اننى صارحتهم بما صارحت به تيتو ، وفيصل !

وعدت الى القاهرة ..

وبعد اسابيع استيقظ العالم كله على انباء الهجوم المصرى الكاسح ..

وبعد مرور ست ساعات فقط من بدء القتال ، فوجئت بالسفير السوفييتى يطلب مقابلتى ويقترح ان تطلب مصر وقف اطلاق النار تأييدا لطلب سوريا ، واكد لى ان حافظ الاسد هو الذى طلب ذلك رسميا من الاتحاد السوفيتى .

وبالطبع رفضت الطلب السخيف والغريب ..

وانتهت المقابلة . ولكن الاتحاد السوفييتى لم ييأس . فعاود ارسال سفيره لمحاولة اقناعى بوقف اطلاق النار مرة اخرى ، ومرة ثالثة . ورفضت جميع هذه المحاولات ، وكنت حازما واستخدمت كلمات حادة طلبت نقلها الى موسكو لتكف عن التدخل واجبارنا على اتخاذ قرار لا يتفق مع خطة المعركة !

وفيما بعد تبين لنا سبب اصرار السوفييت على وقف اطلاق النار . فقد ظهر ـ من اول دقيقة ـ ان الموقف عند جبهة القتال السورية الاسرائيلية ، فى غير صالح السوريين ، وكان خوف موسكو الاكبر ان تضيع سوريا ، ويضيع نظامها الذى عملوا على تقويته ، ومساندته ، كمعبر لتواجدهم فى المنطقة مرة اخرى بعد ان طردناهم من مصر الى الابد !

واتصل بريجينيف ـ تليفونيا ـ بتيتو ـ فى بلجراد . وقال له :

ـ ارجوك ان تتدخل لدى صديقك السادات لاقناعه بالموافقة على طلب وقف اطلاق النار ، والا فانه سيتسبب فى القضاء نهائيا على جميع الانظمة العربية التقدمية ! فسوريا تواجه خطر الهزيمة الكاسحة فعلا . وقد ارسل لنا الاسد يطلب منا التدخل العاجل لوقف إطلاق النار ثلاثة طلبات . ولكن السادات مازال يرفض طلبنا المتكرر بناء على استغاثة حافظ الاسد !

واستمع تيتو الى راى بريجينيف وانتهت المكالمة . ولم يحدث ان اتصل بى تيتو ليخبرنى بطلب بريجنيف ... الا عندما زرته فى بلجراد بعد فض الاشتباك الاول ، اى بعد ان حققنا هدفنا من

بريجينيف اتصل به تليفونيا وطلب منه الاتصال بى ، واستخدم لفظا غير مؤدب فى وصفى مما جعل تيتو يحتد على بريجينيف ويرد عليه قائلا :

ان السادات هو المسئول عما يفعله . وهو القدر من غيره على تقييم الموقف فى بلاده . ولا استطيع ان اتدخل واطلب منه ان يقدم على شىء لا يريده . فاذا اردت ان تبلغ السادات برايك فعليك انت ان تتصل به من موسكو !

ولم يكن هذا هو الموقف النبيل الوحيد الذى وقفه تيتو معنا اثناء حرب اكتوبر فقد كان له موقف اكثر نبلا ، لا يمكن ان ننساه او ان نتجاهله .

كانت المعركة على اشدها ، وكنا نتوقع ان يكون للدبابة الرأى الفاصل فى تلك المعركة ويكفى ان اقول ان خسائر معارك الدبابات اسفرت عن خسارتنا ما يقرب من ٥٠٠ دبابة وخسرت اسرائيل اكثر من الف دبابة اما سوريا فقد فقدت ما يقرب من ١٢٠٠ دبابة . فى يوم واحد . ولهذا السبب كنا فى حاجة الى اكبر عدد ممكن من الدبابات .

وهذا ما طلبته من السفير السوفييتى ، منذ اول يوم عندما جاءنى بطلب الأسد وقف اطلاق النار لينقل طلبى الى قادته فى موسكو . [ولم تصل الدبابات فى الموعد الذى حددته] . وكان الموقف بالغ الحرج عند جبهة القتال ولم اجد سوى الرئيس تيتو لأطلب مساعدته ..

وارسلت اطلب منه مائة دبابة ، اى ما يشكل لواء واحدا مدرعا ، طبقا للنظام الشرقى الذى كنا نأخذ به ، وتأخذ به ايضا القوات المسلحة اليوغوسلافية نقلا عن النظام السوفيتى .

ولم يتاخر الرئيس تيتو . وامر بارسال ١٤٠ دبابة بدلا من المائة فقط التى طلبتها منه ! فالرجل لم يلب طلبى فحسب وانما اضاف اربعين دبابة اخرى !

وتم شحن الدبابات بالباخرة ..

والمذهل حقيقة ان تيتو امر الا ترسل الا الدبابات الجديدة والصالحة للقتال فورا وليس هذا فقط بل وامر بان تزود كل دبابة بكل ذخيرتها وان تملأ خزاناتها بالوقود !

حدث هذا كله ، ووصلت الدبابات وتم نقلها بالقطار الى جبهة القتال راسا . ولم يطلب تيتو ثمنا لتلك الدبابات قبل ارسالها كما يفعل تجار السلاح فى دول كثيرة اخرى ! واضطررنا نحن الى ان نرسل له ثمن الدبابات بعد ان تم فض الاشتباك . وكان يمكن ان ينتظر علينا فترة طويلة اخرى فالرجل رجل مبادىء وليس بتاجر مدافع !

ولهذا السبب قررت ان اطير الى بلجراد بعد فض الاشتباك لاقدم الشكر باسم مصر وباسمى للرئيس تيتو الذى انقذنا وقت الشدة ووقف الى جانبنا كاروع ما يقف الصديق والاخ الكبير .

ومما زاد من احترامى وتقديرى لتيتو ان الرجل لم يكن مطالبا بارسال دبابات لبلد اكد الاتحاد السوفيتى انه سيهزم مائة فى المائة ! فقد اتصل بريجنيف بتيتو واكد له ان اسرائيل ستدمر مصر وسوريا خلال ايام ان لم يكن خلال ساعات . وعلى الرغم من تاكيدات بريجينيف فان تيتو لم يلتفت اليها . وامر بارسال ١٤٠ دبابة ـ بذخيرتها ووقودها ـ وقال لى اذا احتجنا الى المزيد من الدبابات فلا نتاخر فى طلبها منه !

ولم تنقطع علاقتى بتيتو بعد معركة اكتوبر ..

وكنت احرص على زيارته فى كل مرة ازور فيها اوروبا ، او عند مرورى بها قادما من الولايات المتحدة .

وكذلك كنت اطلب من نائبى ـ حسنى مبارك ـ ان يتوقف فى بلجراد ويلتقى بتيتو ويحيطه علما بكل تطورات الموقف السياسى فى منطقتنا . الى ان حدث فى احدى الزيارات التى قام بها حسنى مبارك لأوروبا ، وزار خلالها باريس ولندن وبون فطلبت منه ان يذهب ايضا الى بلجراد . فابرق حسنى يطلب تحديد موعد مع تيتو . فجاء الرد بان الموعد حدد لمقابلة نائب تيتو ، وليس تيتو نفسه ! وعلى الفور الغى حسنى الزيارة ، ولم يذهب الى بلجراد . ووافقت حسنى على تصرفه وقلت له من الان وصاعدا اترك الرجل فى حاله . ولا نحاول احراجه اكثر من ذلك . وعندما قام تيتو بجولة فى دول الخليج ولم يزر القاهرة لم اغضب . بل تفهمت موقفه تماما . فالرجل مضطر الى هذا التباعد حتى لا تسوء علاقاته الاقتصادية مع العيال الذين يحكمون ليبيا .

ويوغوسلافيا ـ كما نعلم ـ بلد يبحث عن رفاهية شعبه ، ويبحث عن دعم مصالحه الاقتصادية مع دول العالم . ولديه مصالح ضخمة مع ليبيا فقد اقام هناك مركزا لتدريب الطيارين . كما باع للقذافى الطائرة اليوغوسلافية « غالب » التى زود بها مركز التدريب المقام هناك فى قاعدة عبد الناصر الليبية . ليس هذا فقط بل ربما ان تيتو يعتمد اعتمادا كبيرا على البترول

البترول ويعتبر من اكبر معامل التكرير فى اوربا . ومعنى اغضاب الطفل القذافى ان يتوقف شحن البترول الى يوغوسلافيا فتتوقف المصفاة الهائلة عن العمل ويصاب الاقتصاد اليوغوسلافى بضربة قوية جدا .

لهذه الاسباب لم اغضب ابدا من موقف تيتو فى الفترة القصيرة التى سبقت موته وفى اعقاب الخلاف العربى المصرى والهوس الذى قاده زعماء الرفض العربى ضد مصر وزعامتها .

فزعماء تلك الجبهة هم مجرد عيال صغار يتصرفون بحماقة . ومنطقهم الوحيد هو : الذى ليس معنا ، فهو ضدنا ! وكان تيتو يعرف عنهم تلك الحماقة .

ولم يكن فى استطاعة الرجل ان يغامر بمصالح شعبه ، لا لشىء الا لمواصلة الاتصال بنا ، وكان الرجل يعلم تماما اننى اتفهم موقفه ، وانفهم كل ما يقدم عليه من خطوات قد يراها البعض هنا بنظرة غير نظرتى اليها .

ان تيتو اثبت ـ كما ذكرت ـ مدى نبله ، وزعامته العالمية ، فى المواقف المشرفة التى وقفها بجانبنا . وهذه المواقف تجعلنا نتذكر الزعيم اليوغوسلافى دائما بكل الحب . وبكل الاعجاب ، وبكل مشاعر الامتنان والوفاء .

أنور السادات

وصلت حديثا نوعيات جديدة من
الأثاث الخفيف MAJA ماجا
رمز القوة والأمانة

سويت هوم
شارع جامعة الدول العربية نادى الزمالك

مركز الديكور
٦ شارع الجزائر مدينة الأوقاف

مكتبات موسيقية
لأجهزة الاستريو والأمبليفاير والتليفزيون .

ستاندات
ثابتة بفواصل زجاجية وملونة .

مناضد
للتليفزيون والفيديو .

خشبى وكروم وطلى ذهبى وفضى

هى المجموعة السباقة فى أوروبا فى حقل الموبيليا العالمية الخاصة بالتليفزيونات والموسيقى المجسمة

الوكلاء الوحيدون مركز التوزيع الدبلوماسى ٤٧ شارع رمسيس ت ٧٥٣٨٧٥/٧٥٣٩٤٤ القاهرة

فتح باب الحجز للمصريين
العاملين بالخارج وعائلاتهم بمصر

منتجات متوفرة دائما فى مصر وبأسعار تتحدى الأسواق العالمية ..

وايت W وستنجهاوس
فخر الصناعة الأمريكية
White-Westinghouse

تسليم بضاعة حاضرة - أو حجز مبكر والتسليم بعد ٣ شهور من تاريخ السداد .. السداد بالدينار الكويتى أو ما يعادله من عملات حرة بموجب تحويلات أو شيكات مصرفية لدى بنك الدلتا الدولى كورنيش النيل - القاهرة .

البضاعة الحاضرة محدودة
والتسليم حسب أولوية السداد

	النوع	موديل	بضاعة حاضرة دينار	حجز مبكر دينار
ثلاجات	١٦ قدم ٢ باب	RT 16 V	٤٥٠	٤٢٥
	١٨ قدم ٢ باب	RT 18 V	٤٩٠	٤٦٥
	٢١ قدم ٢ باب طولى	RS 21 V	٥٥٠	٥٢٠
	٢٣ قدم ٣ باب	RS 23 V	٦٧٥	٦٤٠
غسالات	فول أوتوماتيك ١٢ برنامج	LS 450	٢٢٠	٢٠٥
	نصف أوتوماتيك	LW 12 D	٢٢٠	٢٠٥
	غسالة أوانى ٣ طوابق	CW 14	٢٥٠	٢٣٠
تكييف	١٫٥ حصان ساخن وبارد	AH12ED5	٢٧٥	٢٦٠
	٣٫٠٠ حصان ساخن وبارد	AS24ED5	٤٢٥	٤٠٠
ديب فريزر	١٣ قدم رأسى	FU 134 A	٣٠٠	٢٨٥
	١٥ قدم أفقى	FC 15 VC	٣٦٠	٣٤٠
	٢٠ قدم أفقى	FC 20 VT	٤٢٥	٤٠٠

للاستعلام الوكلاء الوحيدون مركز التوزيع الدبلوماسى
٤٧ شارع رمسيس ت ٧٥٣٨٧٥ / ٧٥٣٩٤٤

معرضه الدائم سويت هوم
مبنى نادى الزمالك الرياضى ش جامعة الدول العربية المهندسين

مارلبورو
Marlboro